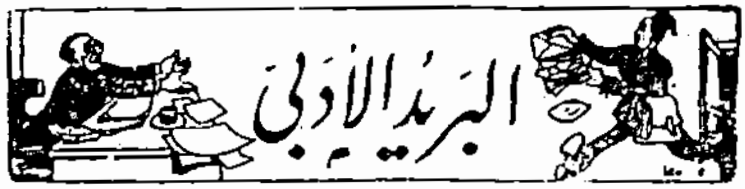

الأدب المتحر :

الأدب العربي — اليوم — يقاسي محنة عسيرة ، ويعاني تجربة قاسية، أسأل الله أن يجتازها بسلام .

ذلك أن نفراً من المبتلين بداء التقليد يطلعون علينا كل يوم بصورة من صور الإفلاس الكبرى ، والمجاعة العاطفية . فتراهم يحاولون تقليد المذاهب الغربية الهاربة من نعيم الحياة الحاقدة على المجتمع ، المنزوية في كهوف من الأوهام العاجزة المريضة .

وفي لبنان مجلة تقرأ في كل عدد من أعدادها نماذج من تلك المذاهب ، وأنا أورد ثلاثة نماذج من تلك الصور البشعة للأدب البغيض .

أحدها من قصة عنوانها (مواطن جديد) قال كاتبها في أولها :

« آه .. تنبعث من زاوية الكوخ فيرفع الرجل رأسه ، ويرنو إلى زوجته القابعة على بقايا حصير ، ثم يتطلع إلى وجهها الشاحب الباهت ويتسائل (هكذا) — ما بك ؟ . — الجنين . أحس ألماً شديداً في أحشائي . يبدو أن ساعة الوضع قد دنت . إن الشقي يتأهب فالنزول إلى الحياة ، ليأخذ نصيبه من الألم والعذاب، نصيبه من الشقاء والبؤس ... ويدير ببصره إلى باب الكوخ . ظلام .. الظلام يكتنف الكون ... لا ... الأكواخ ... فقط ... إن كلمات زوجته تهبط على رأسي كالطارق فهلا كفت عن الشكوى ؟

— أمعك عود ثقاب ؟ ! .. يلتفت الزوج .. إن النور الضعيف الذي كان ينبعث من ذبالة السراج قدمات ... تلاشى .. فملأ السواد جانب الكوخ .. انطفأ .. ويمد الرجل يده إلى جيبه، لا شيء .. إنه مثقوب .. الجيب الآخر .. فتصطدم ببعض الأجسام الصغيرة يعرف بأنها علبة الثقاب لكنه يتمهل فلا يخرج يده .. بل ظل يعبث بتلك القطع ويمر بأصابعه على أطرافها ، هذه القطعة التي جوانبها ملساء .. فلس .. وهذه الصغيرة التي بأطرافها نتوء .. أربعة .. أما هذه الكبيرة قليلاً .. فعشرة .. خمسة عشر فلساً . إنه يتفحصها المرة العاشرة دون أن تزداد قليلا . خمسة عشر فلساً . يقولون إن النقود تأتي بالنقود والذهب يأتي بالذهب . أما النحاس ؟ . وينهض الرجل متثاقلا فيتحسس بأقدامه الأرض ... ... ويحمل الرجل السراج متذمراً ويهزه بيديه هزاً عنيفاً .

— نضب .. الماز نضب .. إن السراج خال من الماز .

تئن الزوجة .. ويطلق الزوج ضحكة قصيرة .. — حتى الماز أيضاً .. هه

— تضحك وأنا أتألم

— أجل أضحك وأنت تتألمين . يجب أن نضحك ونحن نتألم ، هكذا يريدوننا . أما الشكوى فكأي شيء آخر في الحياة محرمة علينا ..

« يريدوننا أن نضحك ونحن نموت »

وهكذا تمضي القصة مفككة لا هدف لها ، كاذبة على الحياة ، متفلسفة في جو لا تعيش فيه الفلسفة ، زائغة عن القصد ..

. . .

أما النموذج الثاني فشعر بعنوان (نعش تائه) للطفي جعفر أمان يقول فيه :

ليل .. ومقبرة .. ومنبوذ بلا خفق طريح
هفت الرؤس لنعشه .. وتنفست صمتاً وريح
في كأس مجمجمة يريق شبابه يأساً جريح
تعزف نازفة النطاف بحقفها ولهى تصيح
بُعث العدم ..
في جنة تاظي يلف ربيعها فجر أصم
أنبته حياً .. فأزهر واضطرم
وأرقته عطراً أغم
ناراً ودم

. . .

والقصيدة كلها غموض وتفسخ وألفاظ لا معنى لها ولا رواء

أما الثالث النماذج فبعنوان (حزني) لنير وبس يقول فيه :

بي حزن عميق ، مظلم
يحتضر في ضباب ابتسامي فيضيع
تجف في عطش
في خلاء اكتفائي
يحتضر فيضيع